

جامعة محمد بوضياف المسيلة	د/ بوزبرة عبد السلام
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	فلسفة الدين (السنة الثانية ماستر)
قسم الفلسفة	السداسي الثالث : 2023/ 2022

المحاضرة السادسة:

الدين والعلم:

2. الدين ومنظومة العلوم الإنسانية.

من العلوم الإنسانية ذات الصلة بالدين: علم النفس (الديني)، وعلم الاجتماع (الديني)، والانثروبولوجيا الدينية، والتحليل الفينومينولوجي للدين، علم تاريخ الأديان، وعلم مقارنة الأديان. في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، قام مفكّرون من الحقول المعرفية السالفة الذكر ببحث الجذور الطبيعية للاعتقاد الديني، وحاولوا تفسير كل من منظور مرجعيته المعرفية. المعتقدات الدينية من حيث منشأها وتعددتها وتنوعها.

1. علم النفس الديني:

ذهب علماء النفس إلى القول بأن الدين حالة نفسية واعتبروا أن المنهج التاريخي ليس كاملاً ولا يلبد من اكتماله بالأبحاث النفسية. وعلم النفس الديني يدرس الدين من زاوية نفسية، وهناك مناهج نفسية متعددة بتعدد المدارس النفسية، وأبرزها منهج التحليل النفسي الذي قدمه فرويد وطبقه على دراسة الظاهرة الدينية. ومن بين العلماء الذين أسهموا في تطبيق التحليل النفسي على الظواهر النفسية ذات البعد الديني؛ سيغموند فرويد وإريك فروم، في كتابه: "الدين والتحليل النفسي"، وما أضافه هو إدخال العوامل الاجتماعية للتحليل النفسي للدين.

أمّا عالمُ النَّفس سيغموند فرويد (1927)، فقد اعتبر بأنَّ الإيمان الديني هو وهمٌ يُشبه رغبةً طفوليَّةً بوجود شخصيَّةٍ أبويَّة. القصَّة التامة التي يُقدِّمها فرويد هي غريبةٌ تماماً وتُفيدُ أنَّه في العصور الغابرة كان يقوم الأبناء بقتل الأب الذي يحتكِرُ جميع نساء القبيلة ويقومون بأكله. بعد ذلك، كان يشعرُ الأبناء بالندم وأصبحوا يعبدون أباهم المقتول، وهذا الأمر - بالإضافة إلى المحظورات كأكل لحوم البشر وسفاح القربى - هو الذي أدَّى برأيه إلى نشوء الدين الأول. كذلك، اعتبر فرويد أنَّ «الشعور المحيط» (وهو الشعور بالمحدوديَّة

والارتباط بالعالم) هو أحد مناشئ الاعتقاد الديني، واعتقد بأنّ هذا الشعور هو بقيةً من إحساس الطفل بذاته قبل فطامه هذا الفهم السيكلوجي للحالة الدينية تم الاهتداء إليه من خلال نظرية التحليل النفسي التي أسسها فرويد وطورها تلامذته.

أ- نظرية التحليل النفسي:

وترجع هذه النظرية الدين إلى الاضطراب أو المرض النفسي أو الصراع القائم في نفس الإنسان، هذا الصراع الناتج عن تباين وظائف جوانب الشخصية الثلاثة: الهو بما يحمل من رغبات جنسية محرمة، والأنا بما يمثله من قيم وتقاليد ومعايير المجتمع، والأنا الأعلى بما يمثله من ضمير والمثل العليا للفرد. وإن هذا الصراع يبدأ في السنة الخامسة من العمر، العمر الذي اسماه فرويد بالمرحلة الأوديبيّة، ويحل الفرد هذا الصراع عادة باستخدام آلية الكبت الذي يؤدي بهذه الخبرات إلى حيز اللاشعور، وتظهر هذه الخبرات المكبوتة في حياة الفرد عن طريق دافعين أو غريزتين هما الجنس والعدوان. وهناك نظرية أخرى في علم النفس، حاولت أن تقدم تفسيراً سيكلوجياً للظاهرة الدينية وهي نظرية الخوف.

ب- نظرية الخوف

تعتبر أن التدين ظاهرة اجتماعية نفسية وأن خشية المجهول هي التي جعلت الإنسان يلجأ إلى الدين، وهي نظرية قديمة جداً جاءت في العصور اليونانية والرومانية، فالناس في تلك المجتمعات البدائية وبسبب ظروفهم القاسية تحت ضغوط المرض والجوع والحروب القبلية والتخلف والجهل يسعون إلى كسب عطف القوى الغيبية لتأمين سلامتهم وتجنب سخط هذه القوى من خلال إرضائها والتقرب منها بالعبادة والطقوس والقرايين، ومن أهم الطقوس الروحية الدينية في هذه المجتمعات طقوس المرور أو الانتقال وطقوس التأهيل تلك الطقوس التي كان يعتقد الأفراد أنها تساعد على انتقال الفرد من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج أو الرشد الاجتماعي.

2. علم الاجتماع الديني:

ذهب البعض من علماء الاجتماع إلى القول بأن الدين هو ظاهرة اجتماعية في المقام الأول، وقد انتهى اهتمام علم الاجتماع بموضوع الدين إلى ظهور علم الاجتماع الديني كفرع تخصصي ضمن فروع علم الاجتماع. وعلم الاجتماع الديني ينظر إلى الدين كظاهرة اجتماعية جمعية، من المعتقدات والمؤسسات الدينية والطقوس والوظائف الاجتماعية للدين. ومن أبرز علماء الاجتماع الذين أسهموا في الدراسات الاجتماعية للدين؛ إميل دوركايم، في كتابه: "الصور الأولية للحياة الدينية" (1912)، وماكس فيبير في كتابه: "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" (1905).

أما إسهامات دوركايم (1915) في علم اجتماع الديني، فتدور حول مجموعة من القضايا لعل من أهمها تقديم تصور اجتماعي لمفهوم الدين من الزاوية الاجتماعية، ومفادها: أن مفهوم الدين عنده إسقاط اجتماعي تعظيمي لممارسة المجتمع وإعادة إنتاجه في شكل رموز دينية مقدسة، ويُعد ما قدمه في كتابه: (الأشكال الأولية للحياة الدينية)، والذي تناول فيه الممارسات الدينية كما قدمته بعض الدراسات الميدانية، التي انتهى فيها إلى بلورة مفهوم (المقدس/المدنس)، وكذلك مفهوم (الضمير والعقل الجمعي)، وكيفية التغيرات والتحويلات في الممارسات الدينية في المجتمع، وبذلك فتح آفاقاً جديدة غير لاهوتية لدراسة الظاهرة الدينية وقد أسفر البحث السوسيولوجي للدين عن تأسيس وبلورة نظرية اجتماعية في تحليل وتفسير الظاهرة الدينية.

*- النظرية الاجتماعية:

ويرى أصحاب هذه النظرية بأن الدين وجد من أجل ترسيخ مفهوم التضامن الاجتماعي في المجتمعات البدائية، ويدلل على ذلك كثرة وكثافة الطقوس الروحية في هذه المجتمعات، فالنظام الغيبي في هذه المجتمعات يعتبر قوة موحدة وفاعلة في زيادة التآزر والتضامن الاجتماعي، وتذهب هذه النظرية إلى اعتبار ظاهرتي الزواج والموت وما يتبعهما من طقوس احتفالية وتأبينية في الزواج والموت أهم المظاهر الاجتماعية التي تشير إلى أهمية التضامن الاجتماعي بين الأفراد في هذه المجتمعات.

3. علم تاريخ الأديان:

يعرف تاريخ الأديان بقوله إنه «دراسة علمية وموضوعية تتناول ديانات العالم الماضية والحاضرة. وهذه الدراسة تتوخى دراسة الديانات في ذاتها، واكتشاف ما يقوم بينها من نقاط تشابه واختلاف، واستخلاص مفهوم الدين بوجه عام، عبر ذلك، وإيضاح السمات المميزة للشعور الديني ويهتم بالتأريخ لنشأة وتطور الشرائع والمعتقدات والممارسات الدينية في التاريخ، ومن أهم الكتابات في هذا المجال، كتاب: "الملل والنحل" للشهرستاني. وعلم الأديان يهتم بما يلي:

- نقل دراسة الأديان من المسلمات القدسية التسليمية، التي سادتها طيلة الزمن الماضي، إلى الفحص العلمي، والدراسة الأكاديمية، التي توجهها مسلمات البحث العلمي في كل مجال.
- فهم الظاهرة الدينية داخل التاريخ والواقع، وليس خارجهما، ولاعتبار الأديان مترابطة التواتر، والشكل، ولها سياق تاريخي معروف يجب البحث عنه، والتحقق فيه بدقة.

- الدين ظاهرة اجتماعية بفرضها وجود مجتمع إنساني في ظروف معينة، وتتطور وفق إطارات، وحاجات اجتماعية.

- يعمل علم الأديان على النظر إلى كل الأديان باحترام، كثقافة نوعية للمجتمعات البشرية كانت لها الأدوار الكبرى في صنع ثقافته، وحضارية على مدى التاريخ.

- علم الأديان علم حيادي، قدر الإمكان، ينبذ المواجهات الإيديولوجية، التي قد تعتري بعض علمائه، بسبب خلفياتهم الدينية، أو العرقية، أو الثقافية، أو السياسية، ويعمل على تحليل حيادي لكل الأديان، أو لدين واحد، مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك، شرط ألا تكون تلك النتائج إيديولوجية، أو تفضيلية.

على الرغم من أن منهج البحث العلمي هو الصورة العامة لطريقة علم الأديان في التحليل والرصد، لكنّ هناك خصوصيات للمراحل التاريخية، التي مرت بها الأديان، تجعل هناك ضرورة لوجود خصوصيات بحثية لكل مرحلة؛ بل خصوصيات بحثية لكل دين من الأديان، شرط دقتها العلمية.¹

4. علم مقارنة الأديان:

هو أحد فروع دراسة الأديان، التي تهتم بالموازنة المنظمة للعقائد والممارسات في أديان العالم. والدراسة المقارنة للأديان تؤدي إلى فهم أعمق للاهتمامات الفلسفية الأساسية للأديان مثل الأخلاق وما وراء الطبيعة وطبيعة وشكل الخلاص ويقوم بالدراسة الوصفية والنقدية بين الأديان، من حيث المعتقدات والرؤى والكتب المقدسة، ومن أهم الدراسات في هذا المجال؛ كتاب: "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لابن حزم.

5. الفينومينولوجيا والدين:

الفينومينولوجيا هو علم الظاهرات حيث يقوم بتحليل وصفيّ للذات الدينيّة وللموضوع الدينيّ الذي يقابلها، أي للقصد الدينيّ وللمقصود الدينيّ كما يقوم بتحليل وصفيّ للنظم الدينيّة بجميع مقوماتها العقائديّة والعباديّة والأخلاقيّة والمؤسسيّة وقد ذهب أتباع هذا العلم إلى ضرورة الأخذ في الاعتبار بما قاله السابقون من علماء النفس والأجتماع والمؤرخون غير أنهم قالوا بأن المنهج الذي أتبعه هؤلاء كان منهجا خاطئا ولا بد من أتباع منهج جديد يقوم على عدة مبادئ هي:-

- يجب الأحاطة بجميع الظواهر وعدم ترك أي جانب منها

- يجب أن نجرد أنفسنا من الافتراضات الدينية والفلسفية التي نؤمن بها

- يجب على الباحث ان يتعاطف مع المواد المدروسة والأستعداد للتأثر بها فهي ليست مواد ميتة بل هي حية تؤثر وتتأثر بالباحث وبقدر تجاوبها مع الباحث تكشف عن نفسها

- لابد من تصنيف الظواهر الدينية وترتيبها للخروج بنتائج تكون منطقية ومقبولة عقلا

- لا حكم لعالم الأديان على الأديان أو الظواهر لأن غاية العلم ليست تحكيمية بل تفهيمية

وقد قام الكثير من الكهنة ورجال الدين والفقهاء بالتعليق على هذا المنهج بقولهم أن الفينومينولوجيا تحتاج إلى ما أسموه ما وراء الدين أى ضرورة الأيمان بالغيبيات فالدين هو فطرة الله التي فطر عليها الناس جميعا وهو عام لدى الناس ولا يتطور ولا يرقى بل موجود على نفس المستوى لدى البشر

6 . الدين والأنثروبولوجيا:

أنثروبولوجيا الدين هي دراسة الدين في إطار صلته مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى، ومقارنة المعتقدات والممارسات الدينية عبر الحضارات. علم (أنثروبولوجيا الدين) والذي يشمل دراسات فيما يمكن أن يسمى بالممارسات الشعبية الدينية والفلسفة الأنثروبولوجية التي تتعلق بتصورات المجتمعات الأولية البسيطة للكون والحياة، وما يدور في فلكها من نشاطات تسمى أحيانا بالأديان، أو المعتقدات الدينية البدائية، والسحر والشعوذة وغيرها مما سنأتي على ذكره لاحقا. ولقد شكّل الدين وما يتصل به من ممارسات وطقوس وبنى تنظيمية أسئلة محورية اهتم بها رواد علم الاجتماع، وكانت هذه الأسئلة قد دفعت بهم إلى تناول موضوع الدين بشكل مباشر، ربما لن نكون مبالغين إن قلنا: إن معالجتهم للقضايا التي يطرحها مكنتهم من بلورة مفاهيم محورية في إسهاماتهم النظرية التي أثّرت، وبشكل عميق، في علم الاجتماع. وسنتناول -وبعجالة- في هذه الورقة أهم ثلاثة رواد في علم الاجتماع: ماركس، ودوركايم، وماكس فيبر من خلال عرض أهم المفاهيم والقضايا التي قدموها في دراستهم للظاهرة الدينية.

النظرية الأنثروبولوجية وتفسيرها للظاهرة الدينية:

تقبل هذه النظرية بشكل عام بفكرة القوى الروحية والقوى المشخصة أو الخارقة للطبيعة كأساس لكل الأديان، كما يعتقد مؤيدي هذه النظرية أن هذه القوى وجدت مع بعضها البعض ولم تنشأ إحداهما عن الأخرى، فقد لاحظ الأنثروبولوجيون من خلال دراساتهم للقبائل والمجتمعات البدائية وتعمقهم في نظام حياتها بشكل صميمي. إن هذه القبائل والجماعات تدرك العالم الذي تعيش فيه بأنه ينشطر إلى شطرين المقدس وغير المقدس، ففي الشطر المقدس تدخل بعض الأشياء والأماكن والكلمات والأشخاص والتي يتفاعل معها الأفراد على أساس صفة التقديس، وهناك الأشياء التي يتعامل معها هؤلاء الأفراد دون أن يكون لها

هذه الصفة من القدسية، وبذلك فقد ركز الانثروبولوجيون في دراساتهم للنظم الدينية في هذه المجتمعات على ركيزتين أساسيتين هما: العقائد، والطقوس أو الشعائر، وهما ركنان يكملان بعضهما بعضاً في أديان هذه المجتمعات البدائية، كما لوحظ أن النظم الروحية البدائية لا تقتصر على العقائد الدينية فقط بل تضم أيضاً العقائد والممارسات السحرية إضافة إلى الأساطير.

المصادر والمراجع:

- الخشاب سامية مصطفى: دراسات في الإجتماع الديني . "علم الإجتماع الديني" ط2، دار المعارف. 1993.
- البربري أحمد محمود: الدين بين الفرد والمجتمع . مكتبة مصر . 1972.
- دراز محمد عبد الله: الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم. الكويت، 1982.
- فروم إريك ترجمة فؤاد كامل الدين والتحليل النفسي. القاهرة: مكتبة غريب، 1977.
- محمد عبد الفتاح المهدي، سيكولوجية الدين والتدين، البيطاش للنشر والتوزيع، ط1، 2002.
- محمود، عبد الرازق الشعور، الديني لدى اطفال ما قبل المدرس. الشبكة العالمية للمعلومات 2003.
- حنفي، عبد المنعم.: سيكولوجية الدين. الموسوعة النفسية، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة. 1995.
- أنتوني، غدنز: علم الإجتماع. ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة 4. 2005.